

# سلمان رشدي يستعيد دون كيخوت وصراعه من أجل الحب

## رواية تنتقد انهمار المجتمع الأميركي في عالم تختلط فيه الحقيقة بالهلوسة



يستعيد الوسط الثقافي هذا العام الذكرى الثلاثين لإصدار فتوى إهدار دم الكاتب البريطاني من أصول هندية سلمان رشدي، الذي عاش لأكثر من عشر سنوات متخفياً، ينتقل بين المنازل ويستخدم اسماً وهمياً "جوزيف أنطوان"، مع ذلك، وبالرغم من التهديدات والعنف والهيستيريا العالية التي لاحقت كل ما يتعلق باسمه، استمر بالكاتب، خارجاً من "مخبئه" عام 2001، معلناً أنه لن يعيش تحت سطوة الخوف، بالرغم من أن الفتوى كانت وظلت قائمة ضده حتى الآن.



عمار المأمون  
كاتب سوري

باريس - صدرت لسلمان رشدي هذا العام رواية "كيخوت" التي رشحت لجائزة بوكر البريطانية، والتي تستدعي منذ العنوان دون كيخوت، الفارس المبتذل، أسير أوهامه عن الحب ومصيره البطولي، لكننا في نسخة رشدي نراه يمضي نحو نهايته، هاربا من عالمه الذي يتطابق مع عالمنا.

**في الرواية تبرز قدرة الأسماء على بناء الحكايات، فالجميع ذو أسماء وهمية لكنها عتبات تخزن تاريخاً من النصوص**

نعلم مثلاً لماذا سمي دوشامب "الأخ"، ذات الأمر نراه في بعض الأشياء التي يخبرنا رشدي أنها ليست مهمة ولا داعي لمعرفة، لندخل بعدها عوالم كيخوت، وكيف اختار هذا الاسم، ثم ظهور سانشو فحاة بوصفه ابن كيخوت، والذي يختلف عن باقي الشخصيات بأنه يدرك أنه نتاج مخيلة دون كيخوت، ويعي وجود كاتب بيني ويرم ذكراً والده ويدفعه في رحلته، هذا الكاتب -رشدي- يسخر من شخصياته مستنداً ذاتاً عبر استخدام اسمه الوهمي "جوزف أنطوان" في حكاية كيخوت بوصفه اسماً مستعاراً لأحد الشخصيات.

الأسماء المقتبسة من تاريخ الأدب والثقافة الشعبية ترسم الشخصيات وتتيح لها أن تسخر من وجودها الروائي وتسمح لرشدي انتقاد تاريخ تمثيلات العالم كما نعرفه، إذ تمتزج حكايات الأدب "الراقي" مع "الحكايات المبتذلة" القادمة من تلفزيون الواقع والمؤمنين بنظرية المؤامرة، وكان "كل صور العالم" تحضر في عقل كيخوت، مدمن مشاهدة التلفاز والمصدق لكل ما فيه، والذي يستبدل تاريخه الشخصي بحكايات برامج تلفزيونية تبدو مالوفة للقارئ، وكأنه نتاج الثقافة الشعبية بكل أشكالها، مُتبنياً أخلاقيات برامج المسابقات ونظريات انهمار العالم، عاشقاً لـ"سلمي آر" سلبية نجومات بوليوود والشخصية الشهيرة في أميركا.

وهنا تبرز قدرة الأسماء على بناء الحكايات، فهي مجرد عتبات تخزن تاريخاً من النصوص، فالجميع ذو أسماء وهمية سواء في حكاية الكتاب "دو شامب" أو ضمن حكاية دون كيخوت، وهذا ما نراه في العمل السري ذي الأصول اليابانية الذي يتواصل مع الكاتب لأجل التحقيق بشأن ابنه الذي يقود عمليات إرهاب ريفية، فالجميع ذو أسماء عدة تتغير مراراً، يعي من حوله هذا التغيير، وكان الاسم ليس لإحجة أو قاعدة أولى تنفق عليها

### لن أعيش تحت سطوة الخوف

المتهوره في سبيل النجاة، ورهانا غير مضمون النتائج. يقدم رشدي لنا درساً في العمران الروائي، والقدرة على حبك عالم يسخر من عالمنا الحالي بأسمائه وحقايقه وأوهامه، صحيح هناك إطلاقات قد تبدو مملّة، وقوائم تحاول ضبط ما نشهده من صور ومعلومات في "عالمنا"، لكنه يتهمك من القول المتكرر بأننا "كلنا دون كيخوت"، فلا أحد منا يشسبه، كيخوت هو الأشجع والأشد سذاجة، القادر فعلاً على القتال حتى النهاية حتى لو فقد كل شيء، وتيقن من موته وقدره الساخر، مستعينا بـ"الوهم" في عالم مقبل على الضراب، حتى لو اضطر لمقاتلة فيلة عملاقة، واختطاف نجمة تلفزيونية والدخول في بوابة نحو بُعد بديل، فكيف تخيل نسخة فائقة عن أحلامنا، التي تدلل فيها وهماً بالخالص من عالم لا بد أن ينهار.

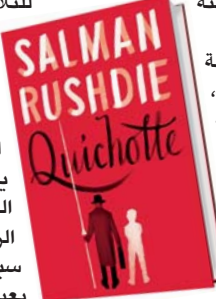
وسلمى مدمنة الحبوب المخدرة وتعالج نفسها بالصعق الكهربائي، ليبدو العالم بنظر الاثنين كرتونيا هشا، قابلاً للتلاشي والتغير خصوصاً أنهما يصابان بفرغانات في الذاكرة، وهذا ما يجعل سانشو الشخصية الساخرة والوحيدة في الحكاية، فهو لا يأخذ ما يحدث من حوله على محمل الجد، كونه مدركا للعبة الروائية، وأنه ككل شيء سيتلاشى، كما العالم الذي يعيش فيه، والذي سينتهي حسب كيخوت حين يجد حبيبته، فيحينها، "لن يكون له معنى سوى الانهيار"، في إشارة إلى نهاية الرواية التي يكتبها دوشامب، وكان تلك الشخصيات وأعية بأقدارها وبنهاياتها، لتأتي رحلة كيخوت نوعاً من المغامرة

الهرب عبر بوابة سحرية نحو عالم جديد، عالم يخرج فيه كيخوت وسلمى من الكتاب نحو عالم الراوي دوشامب، الذي يراه أمامه لحظة كتابته لآخر كلمة من روايته. تحضر موضوعة الصحة العقلية بشدة في الرواية، سواء بسبب العزلة الاجتماعية أو الهجرة، أو وباء الأوبئة المخدرة الذي يجتاح أميركا أو التلفاز نفسه، وما بيته من رعب وسخافات و"حقائق" تترك المشاهد محتاراً، يشكك بوعيه في العالم، وهذا ما يجلبنا إلى كيخوت ومحبيبته، إذ لديهما حكايتين شخصيتين مختلفتين، واحدة متخيلة على الشاشة كسلمى أو على الورق ككيخوت، وأخرى "حقيقة" نراهما فيها مضطربين عقلياً. كيخوت المصاب بنوع من الثنائية القطبية

للبدع بالحكاية، تلك التي قد تتطابق مع روايات دوشامب البوليسية التي لم نقرأها.

### هلوسة أم مخيلة

يظهر سانشو في الرواية بوصفه ابن كيخوت الذي يخلقه من مخيلته، ليكون في البداية أشبه بشخصية تلفزيونية مشوشة، يمتلك جسداً إلكترونياً، ويسعى طوال الرواية لأن يكون إنساناً من لحم ودم، ومستقلاً عن مخيلة والده، ليقرر -سانشو- ترك كيخوت ليلاحق من يحب "الأجمل من الجميلة" مثلاًشيا حين يلتقي بها، ذات الأمر مع كيخوت، فالعالم الذي ينهار في "اللاشيء"، والذي يتطابق مع زمن الانتهاء من كتابة الرواية، ينتهي بكيخوت بعد رحلته في الوديان السبعة إلى لحظة لقائه مع محبيبته، التي "يخطفها" في سبيل



# «حطب سراييفو» رواية بين حريين أهليتين في البوسنة والجزائر

**«حطب سراييفو»، تعيد تأمل تاريخ الجزائر الشبيه بتاريخ البوسنة والهرسك، إنها رواية الصدمة والتاريخ المزيّف**

أصبحت توأمها وقدرها على امتداد تاريخها، حالت بينها وبين ترجمة ذلك الحلم إلى واقع، لتفكر هي الأخرى في ترك هذا البلد والهجرة إلى مكان آمن حيث تستطيع هناك تحقيق أحلامها، إنها سلوفينيا حيث تنبعث منها نجمة في سماء المسرح يُنسبها هجر حبيبها غوران، وكل من أراد استغلال جسدها وأنوثتها، كانت الهجرة إلى سلوفينيا الحل الوحيد للابتعاد عن سراييفو والحرب التي لم تنته فيها. لكن جريمة قتل تتسوّط فيها إيفانا سوف تعيدها من أين أتت ولا يدور في مخيلتها سوى سلم، الذي ضاع من بين يديها.

إنها رواية الصدمة، والتاريخ المزيّف الذي يعيش فيه أشخاص، ففي «حطب سراييفو»، نعيد تأمل تاريخ الجزائر، وهزاتة، الشبيه بتاريخ البوسنة والهرسك، وقد أصاب الروائي أن افتتح نصه بمقطع من الشعر البوسني يقول "نحن إخوة في الألم، عدا ذلك فإن كل شيء يفرّقنا". إن الحريين الأهليتين اللتين تحكيهما الرواية، لم تكونا فقط حريين على السطح، بالنار والسكين، بل كانتا أيضاً حربي هوية مفتحة.

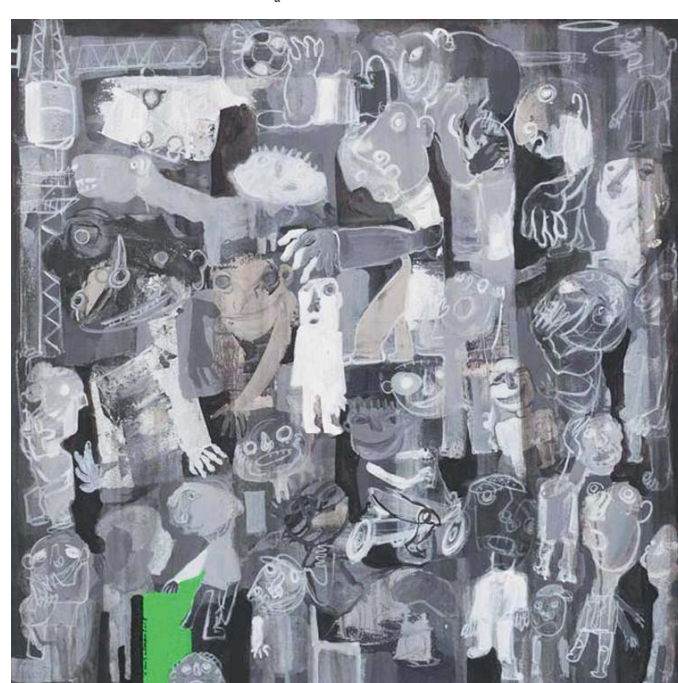
لاحقاً يشتغل سليم صحافياً بالقسم الثقافي لجريدة "الحر" سنوات العشرية الحمراء والإرهاب الأعمى الذي ضرب الجزائر في التسعينات، ثم انتقل إلى القسم السياسي، غطى وقائع ومجازي، مثل مجزرة "سيدي بقلع"، التي يحيى تفاصيلها في الرواية، ومع الوقت بات يحسّ يراهاق نفسه مما يحدث من حوله، وغير قادر على المواصلة، لكنه قاوم الوضع بكل تناقضاته، بعد إغلاق الجريدة بسبب الظروف السائدة في ذلك الزمن، تلقى دعوة لزيارة عمه سي أحمد وظن أنها فرصة مواتية للهروب بعدما سكنه الخوف من أن يصبح فريسة "القتلة"، ويُغتال في غفلة منه وهو يكتب عن معاناة أناس يصارعون تلك المحنة، ترك عشيقته مليكة متوجهاً إلى الحلم على أمل احتضان جديد قد تمنحه إياه دولة تدعى سلوفينيا، قبل أن يعود خائباً منها، والأسوأ أنه سيفقد مليكة، ويشرع في رحلة جديدة في البحث عن أصوله، من هو والده الحقيقي ومن هي أمه!

أما قصة إيفانا فهي شابة بوسنية من أصل كرواتي تعيش برفقة أمها وأختها في مدينة أنهبها الحصار والحرب طيلة سنوات، حلمها الوحيد هو أن تصبح مؤلفة وممثلة مسرح، كانت تعيش وسط أسرة مهلهلة، توفي أبوها الذي كان له تاريخ مخر أيام حرب البلقان، حيث كان يجهل هوية والده، وأم كان همها الوحيد المحافظة على هذه الأسرة المتهالكة، وأخت تعاني من اضطراب نفسي، كل تلك الظروف الصعبة والأصعب منها ظروف بلادها البوسنة والهرسك، والتي

تمزج الرواية بين حكايتين في رعدة جغرافية بعيدة ومختلفة، لكنها متقاربة من حيث الهواجس والطموح، حيث تلتقي الماسي والجروح وتتقاطع الآلام والأحزان، وتلتقي المشاكل الإنسانية ورغم البعد المكاني والزمني، وذلك في بحثهما الشاق عن الأمن ونسيان الحرب والدمار، والرغبة في تأسيس حياة جديدة لهما. كما نقرأ في هذه الرواية تاريخاً موزناً لثورة التحرير

ان تصل نروة التآزم ويكتشف سليم، في النهاية، حقيقة لم يكن بمقدوره تقبلها إطلاقاً، وهي حقيقة أنه الابن غير الشرعي لمن اعتبره طوال حياته والده، هذه الصدمة جعلته يصارع الأحزان والماسي لما عاشه من أكاذيب ربع قرن ويزيد، الأمر الذي أدى به إلى اتخاذ قرار العودة إلى الجزائر والرجوع إلى بلده، في الوقت نفسه تقرّر إيفانا العودة إلى سراييفو، لأنها لم تجد ما كانت تحلم به، تطوي ماسيها الشخصية وتعيد بناء حياتها في مدينتها الأصلية.

يفتح خطيب الرواية على يوميات سليم وهو يواجه الخوف في الجزائر العاصمة، يعيش على هامش حرب أهلية، وأخبار تفجيرات ومجازر مروعة، ويؤرّع وقته بين عمله في الجريدة ومليكة أستاذة اللغة الإنكليزية التي تجمعهم علاقة غرامية بها. قبل أن يجد نفسه بلا عمل بعد إغلاق الجريدة التي يعمل بها، ويتلقى دعوة لزيارة عمه سي أحمد الذي يعيش منذ سنوات في العاصمة السلوفينية، بعد ذلك تقوم إيفانا بسررد قصتها، فهي تعيش برفقة أمها وأختها في مدينة أنهبها الحصار والحرب طيلة سنوات، فقد وجدت نفسها مجبرة على ترك البوسنة والهرسك، وحمل مخطوطة المسرحية التي تحاول كتابتها بالإنكليزية والذهاب إلى ليوبليانا بحثاً عن عمل وحيوة أفضل وفرصة لإتمام نصها.



حين يلتقي البعيد بالقرب والقريب بالبعيد (لوحة للفنان فيس سلمان)

### بختة جباري

ينتقل سليم من الجزائر إلى سلوفينيا هرباً من أخطار الموت الذي طوق بلده نهاية التسعينات من القرن الماضي، وتصل إليها إيفانا أيضاً بعدما فسلت كل مشاريعها في المسرح في سراييفو، التي لم تشف من بقايا حرب الإخوة، يلتقيان ويتبادلان الأدوار في سرد حياتهما. كل شيء يوحي، من الوهلة الأولى، أنهما يقتربان من علاقة حبّ لكن جريمة مباحة تفصل بينهما، وتعيدهما من حيث جاءا ويكتشفان أنهما ابنان غير شرعيين. جعل منهما التاريخ الدامي في بلديهما مواطنين بلا أب.

يفاجئنا سعيد خطيب (1984) في روايته "حطب سراييفو" (منشورات الاختلاف، صفاق، 2018) بالقطاعات اللامتوقع، ويكتب نصاً؛ سيرة بلدين، كل شيء يفرق بينهما ظاهرياً، لكن شيئاً فشيئاً يدرك القارئ حجم التشابهات التاريخية والثقافية والإنسانية بينهما. رواية يلتقي فيها البعيد بالقرب والقريب بالبعيد، تحت سقف مقهى "تريغلاو" في العاصمة ليوبليانا، وذلك بعد أن استضاف "سي أحمد"، المناضل السابق في حرب تحرير الجزائر قبل أن يصير عدواً له، ابن أخيه سليم في بيته، قصد أن يصارحه بحقيقته، وبعدما قام بتوظيف إيفانا نادلة في المقهى الذي يمتلكه، لتتصاعد الأحداث وتتشابك إلى

